إعداد: ليلى الشافعي

إن مجاهدة النفس على العمل بمقتضى شهادة «لا إلــه إلا الله» هي التــي تحفظ العبد وتعصمه في جميع شؤون هذه الحياة، وتأملوا في قصة هؤلاء النفر، الذين أحاط بهم الخطر، وظنوا أنهم قد أدركهم الموت المنتظر، فجاءت شــهادة «لا إله إلا الله» التي اتخذوهــا منهج حياة لتنجيهم من الضرر، فعن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن رســول الله ﷺ أنــه قال: «بينما ثلاثة نفر ممــن كان قبلكم يمشــون إذ أخذهم المطر، فأووا إلى غار في جبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم فسدت عليهم الغار، فقال بعضهم لبعض: انظروا أفضل أعمــال عملتموها صالحــة لله فادعوا الله تعالى بهــا لعل الله يفرجها عنكــم. فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شــيخان كبيران، ولي امرأتي وصبية صغــار أرعى عليهم، فإذا أرحت عليهم: حلبت فبدأت بوالدي فســقيتهما قبل بني، وإنه نأى بي ذات يوم الشــجر، فلم آت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أسقي الصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدمي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلــك ابتغاء وجهك: فافرج لنا منها فرجة نرى منها السماء، ففرج الله منها فرجة فرأوا منها الســماء. وقال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحببتها كأشــد ما يحب الرجال النساء، وطلبت إليها نفسها فأبت، حتى ألمت بها ســنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها مائة دينار علــى أن تخلي بيني وبين نفســها ففعلت، فلما وقعــت بين رجليها قالت: ياعبدالله، اتق الله، ولا تفتح الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنهــا، وهي أحب الناس إلي، وتركت الذهب الــذي أعطيتها، فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلــك ابتغاء وجهك: فافرج لنا منها فرجة، ففرج عنهم الثلثين. وقال الآخر: اللهم إني اســتأجرت أجراء، فأعطيتهم غيــر رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتــى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبدالله، أد إلي أجري. فقلــت له: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال: يا عبدالله، لا تستهزئ بي. فقلت: إني لا أســتهزئ بك. فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا، فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك: فافرج لنا ما بقي، ففرج الله ما بقي، فخرجوا يمشون». رواه البخاري ومسلم.

فالواجب على من أراد في العاجلة والآجلة النجاة أن يتخذ شهادة «لا إله إلا الله» منهج حياة.

فهل جعل «لا إله إلا الله» منهج حياة: مَن آثر الحظ الفاني الخسيس، على الحظ الباقي النفيس، ومن باع جنة عرضها الأرض والسماوات، بسجن ضيق بين أرباب العاهات والبليات، ومن تعوض بمســاكن طيبة في جنات عدن تجري من تحتها الأنهار، بأعطان ضيقة آخرها الخراب والبوار؟

فهل علم المتخلف عن تحقيق كلمة الشهادة ما سيلقاه في يوم القيامة من عظيم الملامة وجسيم الندامة، يوم يحشــر المتقون إلى الرحمن وفدا، ويســاق المجرمون إلى جهنم وردا، يوم ينادي المنادي على رؤوس الأشهاد: ليعلمن أهل الموقف من أولى بالكرم من بين العباد.

فلــو علم ماذا أعــد الله تعالى للموحدين من الإكرام، وادخر لهم من الفضل والإنعام لعلم أي بضاعة بسبب جهله بهذه الشهادة أضاع، وأنه لا خير له في حياته وهو معدود من سقط المتاع.

فليس عند الفطر السليمة، ولا العقول المستقيمة أطيب ولا أنعم، ولا أكبر ولا أعظم، من معرفة الله تعالى بوحدانيته، وتفرده بإلوهيته، وأنه لا معبود بحق إلا الله، تقدست أسماؤه وجل في علاه.

شهر الانتصارات

غزوة بدر الكبرى 1-2

دستور للدعاة والمصلحين

اعترض المســلمون قافلة أبي ســفيان القادمة من الشــام وكان السبب الذي دفع المســلمين لاعتراض القافلة هو استرجاع أموالهم التي نهبتها منهم قريش قبل وأثناء هجرتهــم إلى المدينة، لأن أغلب المهاجرين تركــوا أموالهم في مكــة أو أخذتها منهم قريش بالقوة. وصل الخبر إلى المســلمين بأن قافلة أبي ســفيان بن حرب قدمت من الشام، وتحمل أموالا وتجارة لقريش، وقدر عدد الرجال بها ما بين ثلاثين وأربعين رجلا من قريش، منهم مخرمة بن نوفل، وعمرو بن العاص فلما وصل الخبر إلى الرســول ﷺ محمد ندب المسلمين إليهم، وقال: هذه عير قريش فيها أموالهــم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها. فبدأ الناس يستعدون للانطلاق، البعض جهز ســلاحا والبعض الآخر لم يجهز ســلاحا بل وسيلة نقل من ناقة وخلافه، إذ إنهم لم يعتقدوا باحتمالية قيام الحرب. وكان أبو سفيان حينما اقترب من الحجاز راح يتحسس الأخبار ممن كان يلقى من المسافرين والقوافل، تخوفا على أموال قريش من المسلمين. ووصله من بعض المســافرين أن محمدا قد استنفر المسلمين للقافلة، فأخذ حذره، واستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري، فبعثه إلى مكة، ليستنفر قريشا للدفاع عن أموالهم، وليخبرهم بأن محمدا قد يهاجم القافلة. فانطلق ضمضم سريعا إلى مكة.

ما أن وصل ضمضم إلى مكة حتى جدع بعيره، وحول رحله، وشق قميصه، ووقف فوق بعيره ببطن الوادي وهو يصرخ: يا معشر قريش، اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث الغوث.

استعداد قريش للخروج

بــدأت قريش بتجهيز ســلاحها وإبلها ورجالها للقتال، وقالوا: أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابــن الحضرمي، كلا والله ليعلمن غير ذلك. واتفقوا أن يخرج جميع رجالها وســاداتها إلى محمد، فمن تخلف أرســل مكانه رجلا آخر، فلم يتخلف أحد من أشرافها عن الخروج إلا أبو لهب، حيث أرســل العاصي بن هشام ابن المغيرة بدلا منه، وذلك لكون العاصي مدينا له بأربعة آلاف درهم، فاستأجره أبو لهب بها.

وحاول أمية بن خلف التخلف، فقد كان شــيخا ثقيلا، فأتاه عقبــة بن أبي معيط، وهو جالس بين ظهرانــي قومه، بمجمرة يحملهــا، ووضعها بين يديــه قائلا: يا أبا علي، استجمر، فإنما أنت من النساء، فرد عليه أمية: قبحك الله وقبح ما جئت به، ثم جهز سلاحه وفرسه وخرج مع الناس. عند بدء التحرك تخوف البعض بسبب الحرب بــين قريش وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة، إذ اعتقدوا ان يغدر بهم بنو بكر وهم منشغلون بملاقاة المسلمين. فقال سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي، وهو أحد أشراف بني كنانة: أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه. يؤمن الكثير من المسلمين بأن من أجار قريشا من بني بكر لم يكن ســراقة بل كان إبليس، الشيطان، وهم يعتقدون أنه تقمص شكل سراقة وقال ما قال لقريش.

هنا بعث محمد ﷺ بسبس بن الجهني، (من بني ســاعدة)، وعدي بن أبي الزغباء الجهني، (من بني النجار)، بمهمة استكشافية إلى بدر ليحضرا له أخبار قافلة أبي سفيان بن حرب.

رمضانيات

الأدب مع الجار

قال تعالى: (واعبدوا الله ولا تشــركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب) (النساء: 36).

عن ابن عباس رضي الله عنهما: (والجار ذي القربى) يعني الــذي بينك وبينه قرابة، (والجار الجنب) الذي ليس بينك وبينه قرابة. أخرجه الطبري (335/8) بسند حسن كما قال الحافظ في الفتح (441/10).

قال القرطبي (183/5): «أما الجار فقد أمر الله تعالــى بحفظه والقيــام برعي ذمته في كتابه وعلى لســان نبيــه، ألا تراه أكد ذكره بعد الوالدين والأقربين، فقال تعالى (والجار ذي القربــى) أي القريب (والجار الجنب) أي الغريــب، قاله ابن عباس»، ثم قال القرطبي. قلت: وعلى هذا، فالوصاة بالجار والإحسان قد يكون بمعنى المواساة، وقد يكون بمعنى حسن العشرة وكف الأذى والمحاماة دونه.

عن ابــن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مازال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه» متفق عليه.

إن الإحسان إلى الجار وإكرامه أمر مطلوب شــرعا، وللجار على جاره حــق عظيم في الأديان كلها والشرائع.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه» رواه البخاري (168/8).

قوله: بوائقه جمع بائقة أي غائلته وشره، فالبائقة الداهية والشيء المهلك والأمر الشديد الذي يوافي بغتة.

عن أبــي هريرة رضي الله عنه قال: قال رســول الله ﷺ: «مــن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره» رواه البخاري ومسلم.

من هذه النصوص وغيرها نســتخلص عناية الإســلام برعاية حق الجــار إذ جعل لــه حقوقا عامة وخاصة، فإن كان قريبا في النســب وهو مســلم فله ثلاثة حقوق: حق الجوار، وحق القرابة، وحق الإسلام.

وإن كان مسلما وليس بقريب في النسب فله حقان: حق القرابة، وحق الجوار، وإن كان غير مسلم، وليس بقريب، فله حق الجوار.

ولهذه العناية آثار لا تخفى على كل فرد في المجتمع المســلم، ومن ذلك تهيب المسلم مــن الإضرار بالجار، والحــرص على نفعه فإن لم يكن فعدم ضــرره، ومن ذلك أيضا مواساته إذا أصابه مكروه، وتعزيته إن حلت مصيبة الموت بأهله أو أقربائه، فتراه يهنئه بالفرح، ويظهر مشاركته له في السرور معه، ويصفح عن زلاته، ولا يطلع على عوراته، ولا يضيق طريقه إلى الدار، وينعشه من صرعته إذا نابته، ويتلطف لولده في كلمته، ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه.

ويقابله الجار المســلم بمثل ذلك فتسود المحبــة بين أفراد المجتمع ويعم الوئام، وهو المطلوب.

قلت:

الجــار عندي شقيق النفس أحسبه أخــا كــريمــا وإن أقــفــى سأصحبه فــي كــل يــوم ألــقــاه فيسعدني منــه ســلام كشــهــد عــز مطلبه هــو الحبيب يــروم الــنــفــس أمنحها منــي إلــيــه لأرضــيــه وأكــسبه الله وصــى بــالجــيــران نكرمهم فكيف ننكر حــق الجــار نسلبه؟

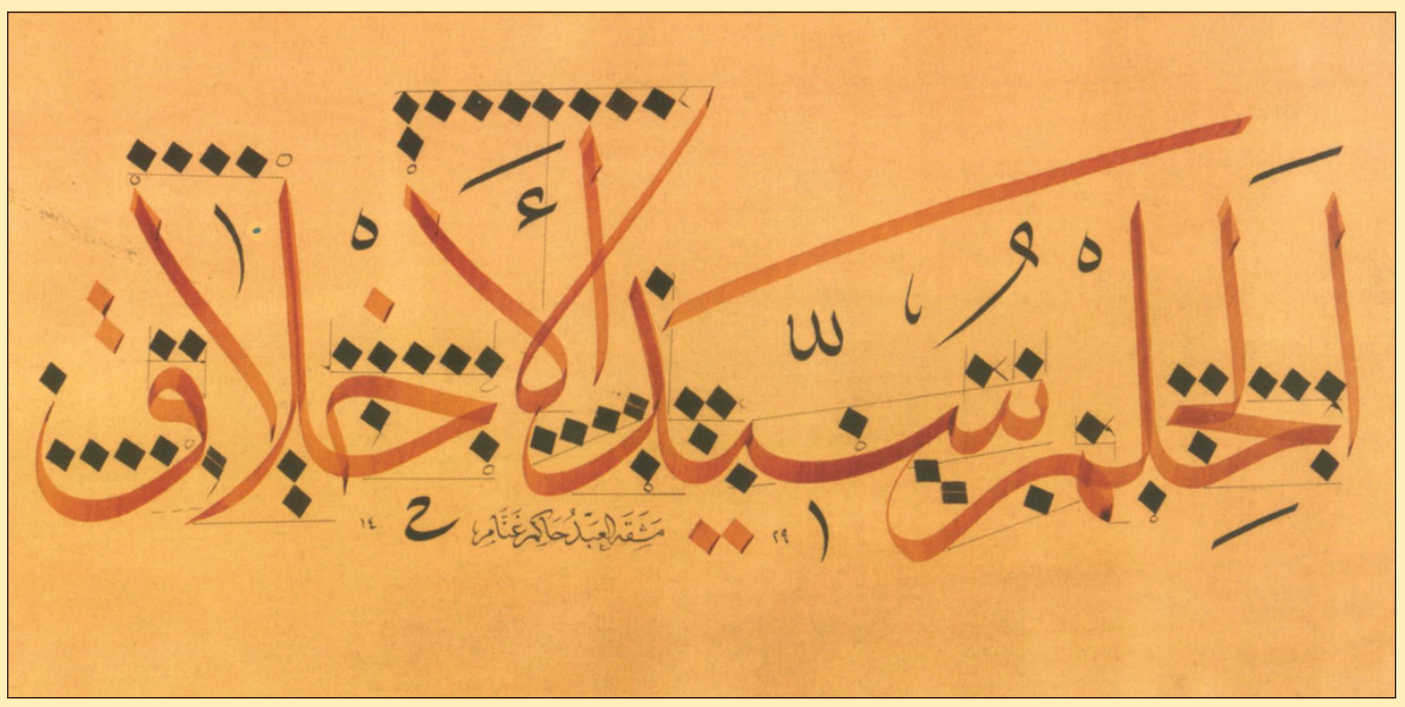

من روائع الخط العربي

الحلم سيد الأخلاق

لوحة للفنان العراقي حاكم غنام وضع فيها الخطاط القواعد على الحروف متمثلة بالنقاط اظهارا للهندســة الخفية التي تكمن وراء شكل الحرف وتزينا للسطر.